مستقبل الأمة المسلمة
في ضوء سنة الله في خلقه

الدكتور
أبو اليسر رشيد كهوس

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

دار الحكمة
طباعة - نشر - توزيع

ج.م.ع - القاهرة - زهراء مدينة نصر - المرحلة الثانية
ص.ب: ١٠ - الرمز البريدي: ١١٥٢٨
تليفون وفاكس: ٢٤١٠٦٧٤٨ - م: ٠١٠٠٠١٣٥٤٠٦
www.darelhekma.net
hassanelsherif@darelhekma.net

رقم الإيداع	٢٠١٢/١٥١٤٤
I.S.N.B	978-977-5077-56-1

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ
لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾

[ĠǪÀöä]

من مشكاة النبوة

عن تميم بن أوس الداري عن النبي ﷺ أنه قال: **"لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ"** (رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح).

إهداء

إلى الصِّدِّيق الأكبر

خليفة خير البشر ﷺ ثاني اثنين

وخليل سيد الكونين سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه

تقديم

الدكتور محمد رفيع

أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس-المغرب.

الحمد لله رب العالمين عالم الغيب والشهادة ومالك يوم الدين، ثم الصلاة والسلام على خير المرسلين وخاتم النبيئين وعلى آل بيته الطيبين وصحابته الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهذه رسالة مجملة وجيزة، لكنها مفيدة في مضامينها، إذ تتناول قضايا جوهرية كبرى هي معضلات ما بأمتنا الإسلامية، يشكل الحديث عنها ومعالجتها خدمة جليلة لحاضر الأمة ومستقبلها.

فالرسالة عالجت بإجمال وبلغة أدبية لطيفة المعالم الكبرى في منهاج إخراج الأمة الإسلامية من واقع التردي والارتكاس الذي تصلى به منذ قرون إلى مستقبل التمكين والاستخلاف في الأرض،حيث تحدثت عن الإشكال التاريخي الكبير الذي شكل منطلق الأزمة في مسيرة الأمة التاريخية وهو تحول النظام السياسي الإسلامي من نظام الخلافة القائم على الشورى والعدل إلى بيعة الإكراه وشراء الذمم (أصل البلاء)،كما تناولت الرسالة إمكان العمل على تجاوز واقع البلاء التاريخي دونما استسلام لليأس والقنوط ومن غير تجاهل عقبات

الطريق وتحدياته، وختمت برسم صورة مشرقة لمستقبل الأمة ومصيرها في التاريخ انطلاقا من نصوص قرآنية وحديثية تبشر المومنين بالتمكين لدين الله في الأرض.

والرسالة من باكورات أخينا الباحث الأستاذ رشيد كهوس الذي يتوقد اجتهادا وحيوية، وتحدوه همته عالية في التأليف والإنتاج العلمي، نسأل الله له التوفيق والسداد.

جعلنا الله وإياك ممن يتعلمون ما ينفعهم ويعلمون الناس ما يصلحهم.

والحمد لله رب العالمين

محمد رفيع

الناضور-المغرب- في 26 شوال
1424/ 21-12-2003

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الملك الوهاب، رب الأرباب، ومجري السحاب، وخالق الإنسان من تراب، والى أهل الاصطفاء من عباده فأورثهم الكتاب، ورفع عن قلوبهم الحجاب، ومنَّ عليهم بفضله وكرمه وأتحفهم بالخطاب.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على ملاذ الورى وشفيع الأنام في يوم الحساب، حبيبنا محمد سيد الأحباب رفيع الجناب، وعلى آله وذريته نجوم الهداية ومصابيح الظُّلمة الطاهرين الأطياب، وعلى أصحابه المحبوبين المكرمين أولي النهى والألباب، ومن سار على نهجهم واهتدى بهديهم إلى يوم المآب.

أما بعد؛

فيقول الباري جل وعلا في كتابه العزيز:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة].

ويقول سيدنا رسول الله ﷺ: **"بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ وَالدِّينِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ"**[1].

(1) مسند أحمد بن حنبل، 5/ 134. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده: قوي.

إن الناظر في واقع العالم اليوم، وواقع الإسلام يبشر بأن الإسلام قادم وأن وعد الله عز وجل بظهور دين الإسلام على الدين كله وانتشار نوره في العالمين قد اقترب.. رغم تتابع الحملات العسكرية والغزو الفكري والإعلامي لثغور المسلمين، للقضاء على هذا الدين الخالد وأهله. وقد خُيِّل لأعداء الإسلام أن الأمة مجتمعة قد استجابت لجهودهم وأزمعت أن تودع الإسلام إلى غير رجعة.

لكن هيهات أن ينال أعداء الإسلام من هذا الدين الخالد، وهيهات أن يسيطروا على أتباعه، أو يجففوا منابعه كما يزعمون وما أكثر الإرهاصات والبشارات التي تبشر باقتراب موعود الله عز وجل الذي وعد به عباده المؤمنين، قال عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة] وتكرر هذا الوعد ثلاث مرات، في التوبة والفتح والصف.

عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **" إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا"**(1).

لقد بدأت الأمة المسلمة تدرك هذه الحقيقة في أن المستقبل للإسلام، وأن بعد هذا الظلام الحالك بزوغ الفجر الصادق وشروق شمس الإسلام الأولى، وبدأت تردد ما جاء في القرآن الكريم من آيات تدعو إلى التفاؤل واستشراف المستقبل الزاهر: ﴿ ...وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

(1) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ح2889.

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف]. ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح]. ﴿ ...سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ [الطلاق]. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى].

ولاستشراف هذا المستقبل الزاهر وتبشير الأمة الإسلامية به، أحببت أن أكتب هذه الرسالة إلى كل المستضعفين في الأرض، وإلى كل من يحمله حنينه، وتقوده أشواقه لذلك اليوم الذي ينتصر فيه الإسلام وترفع رايته في ربوع الأرض كلها..

رغم أنف من يظن أن الأمة لن تبعث مرة ثانية، وتناسى الوعود الإلهية لخير البرية؛ أن مع العسر يسرا ومع الضيق الفرج، وأن الله متم نوره ولو كره الكافرون، وأن الأعداء كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، وأن "**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**"الآية.

أليس الصبح بقريب: والله أكبر، والحمد لله، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكتبه أبو اليسر رشيد محمد كهوس صبيحة يوم الخميس

20 شوال1424 هـ/ 27-11-2003م. بفرخانة، المغرب الأقصى

أصل البلاء

ابتليت الأمة الإسلامية بالوهن، الذي ما يزال يدب في جسمها وكان سببا في انتقاض عروة الحكم وتحول ذلك البناء الشامخ و الحصن المنيع من خلافة راشدة إلى ملك عاض، وهذا أصل البلاء، وما الأزمات التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم إلا أعراض لهذا المرض الدفين، فأول انكسار حدث في تاريخ المسلمين كان على مستوى الوضع السياسي، حيث افترق القرآن والسلطان، والدعوة والدولة، ومن ثم سرى المرض في جميع المجالات (الاقتصادية والاجتماعية والثقافية..) ولا يزال، ونتج عن ذلك تفرق الأمة إلى شيع وطوائف، وعملت العصبيات وحمية الجاهلية عملها وفي الحديث يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: "ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية"[1]، ونسي المسلمون وتناسوا تعاليم الإسلام التي تدعو إلى الوحدة وترك الخلاف المذموم الذي يؤدي إلى التمزق والتشرذم، يقول الباري جل وعلا : ﴿ ...وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ...٤٦ ﴾[2]، فالتنازع سبب الفشل، وقال جلت عظمته: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ ﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ...١٠٣ ﴾[4] فالتفرقة

(1) رواه الإمام ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الفتن، باب العصبية.
(2) سورة الأنفال الآية 47.
(3) سورة آل عمران الآية 105.
(4) سورة آل عمران الآية 103

والتشرذم والطائفية والعرقية والعصبية والقومية والطبقية كلها شعارات تشتت وحدة الأمة وتنخر كيانها وتكون سببا للهلاك والخراب والدمار الذي ما زلنا نكتوي بناره ...

وبهذه التجزئة في أرض المسلمين وهذا التفرق المذهبي وهذه العصبيات المنتنة وجد الاستدمار الغربي الحاقد منفذا نفذ من خلاله إلى جسم الأمة، وبدأ بعد ذلك يعمل في تقويض أركانها وتوسيع الخلافات بين أبنائها ليحافظ بذلك على وجوده داخل المجتمع المسلم، بل الأشد من ذلك والأنكى، بعدما غرس أقدامه في أرض الإسلام واستحوذ على خيراتها وأهمل طاقاتها، بدأ يرسل جحافله الملوثة وسمومه المسمومة إلى صدور المسلمين لزعزعة الإيمان في القلوب، وحول ذلك الغزو بالجيوش الوحشية الجرارة إلى غزو من نوع آخر بإرسال الإرساليات إلى المجتمع المسلم، وزرع بذرة المستشرقين والمنصرين والمغربين في وسط هذا المجتمع، فأينعت فسادا وإلحادا وتفسخا،... من أجل قتل الأخلاق الإسلامية والقيم الدينية، لتصبح الأمة الإسلامية أمة غريبة في أخلاقها بعيدة عن دينها، لا تتحرك إلا وفق مصالح القارونية العالمية طاحنة الشعوب المستضعفة في العالم.

وفي مطلع هذا القرن الجديد "ق21" جاءت جيوش التتار الجدد يجوسون خلال الديار من الغرب الحاقد، يأتون على الأخضر واليابس،...يعيثون في الأرض الفساد، يهلكون الحرث والنسل، بدءا من أفغانستان مرورا بالعراق وقدوما إلى البلدان المسلمة الأخرى... وما فلسطين البلاء بالتي تنسى،...هكذا دب الأمريكان والغرب تحت قيادة الصهيونية العالمية إلى العالم الإسلامي وإلى

المسلمين، وحل "الخطر الأخضر" محل "الخطر الأحمر"، وفي هذا الصدد تحضرني قولة الدب الأليف جرباتشوف حين قال: "إن من الخطأ أن نتوهم أن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل العدو الأول للاتحاد السوفيتي، إن عدونا الأول في الحقيقية هو الإسلام "اهـ. هكذا يعبرون بهذه الجرأة وبهذا الحقد والغطرسة الذي ملأ صدورهم منذ قرون، وهاهم يخرجون ما كان تحت الأنقاض وما وارته الركام، وما أخفته النفوس منذ زمان. وكان شعارهم:

قتل امريء في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر

وفي هذا الصدد يقول الدكتور عماد الدين خليل في مقال نشر له في مجلة البيان اللندنية: "يدور الزمان دورته، ثم ما يلبث أن يرجع إلى هيئته الأولى.. فإذا بديار الإسلام تتلقى دفعة أشد ضراوة وهولا من تلك التي تلقتها زمن الاستعمار القديم(...) وها هو ذا الإعصار الأمريكي المبطن بالمكر اليهودي، يدوم فوق رؤوسنا، ولا ندري إلى أين سيمضي، وما الذي يريد بعد أن وضع العراق ونفط العراق في جيبه، وضمن خزينا احتياطيا هو الأكبر من نوعه في العالم كله"[1].

(1) مقال تحت عنوان"عودة الاستعمار القديم"، مجلة البيان:السنة18. العدد189/ جمادى الأولى1424/ يوليو2003. ص:84-85.تصدر عن المنتدى الإسلامي لندن.

آلام وجراح

رغم هذه الابتلاءات وتلك الخطوب، لا يجب أن يدعونا هذا إلى اليأس والقنوط والاستسلام للواقع المرير، وما نراه اليوم ونشاهده على شاشات التلفاز من حرب معلنة على الإسلام وأهله سواء في العراق أم فلسطين أم أم... يشرد المسلمون ويقتلون ويعذب الأطفال ويتمون، ويحرق الشيوخ ويذبحون، وتنتهك حرمات النساء ويرملون... هل نتحسر ونقتل أنفسنا حزنا؟! أم نفهم ناموس الله في الكون؟!.

لا يستفزنا كل هذا نرضى بقدر الله جل وعلا هذا حظ الحقيقة، أما حظ الشريعة أن ننهض من كبوتنا وسباتنا ونغير ما بأنفسنا بداية من التوبة إلى الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ... ﴿٨﴾ ﴾[1] والفرار إليه سبحانه ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ ﴾[2]، واللجوء إليه جلت عظمته ﴿ ...وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ... ﴿١١٨﴾ ﴾[3]؛ ونهاية بإعداد القوة لتنهض الأمة من كبوتها : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[4]، من هنا لابد لنا من جهود لابد أن نجتهد ونجاهد لنغير ما بالأمة، ونأخذ بأسباب النصر ولا نستعجل قطف الثمار، ولابد أن نأخذ ما عند الأمم وما طوروه من العلوم "التكنولوجيا"، لأن النصر رهين بشروط مذكورة في كتاب الله جل وعلا، من

(1) سورة التحريم الآية 8 .
(2) سورة الذاريات الآية 50.
(3) سورة التوبة الآية 119.
(4) سورة الأنفال الآية 60.

إعداد -القوة الروحية + القوة المادية- كامل وشامل لجميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبذل النفس والنفيس في سبيل الله والصبر الطويل حتى يحل النصر والتمكين والاستخلاف، فوعد الله آت والله لا يخلف الميعاد ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ... ﴿٥٥﴾ ﴾[1]، وفي الحديث يقول النبي الأكرم سيدنا محمد ﷺ: "بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين"[2]، وعن معقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ: "لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره. ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره"[3].

ومن سنن الله جل وعلا أن النصر للمسلمين والمستقبل لهذا الدين، قال الله تقدست كلمته : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[4]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[5]، وبشائر النصر كثيرة وأمارات الفتح جلية ولاحبة، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[6].

(1) سورة النور الآية 55.
(2) رواه الإمام أحمد عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه.
(3) مسند الإمام أحمد رحمه الله.
(4) سورة الأنبياء الآية 105.
(5) سورة الصافات الآيات 171-172-173.
(6) سورة غافر الآية 51.

اشـــتـــدي أزمـــــة تـنـفـرجـي قـــد آذن لـيـلـك بـالـبـج

فجيش العدو مكسور، وجمعهم مدحور، والدوائر على الباغي تدور، سيهزم الجمع ويولون الدبر. ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1]. ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[2]. ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[3]. ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[4].

هذه هي سنة الله تبارك وتعالى في الكون، العاقبة للمتقين والنصر لعباد الله الصالحين...

دروس لـكـن بـغـير اعـتـبـار أيصحو الجماد إذا ما استثير؟!
هـو الحـق مـهـما طـغـى بـاطـل لـه الـنـصر يـوم الـنـزال الأخـير
ولله سـهـم سـيـمـضي غـدا ولـو كـره المستبد الكفور!

(1) سورة يونس 48-49.
(2) الأحزاب 62.
(3) غافر 84-85.
(4) الفتح 23.

سنة التمحيص والاختبار

قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾[1].

لابد من أداء الثمن ولابد من تمحيص واختبار، ولابد للأمة من سياط لتستيقظ من سباتها العميق، لأنها أمة مرحومة رغم ما نراه من سياط القدر الإلهي التي تلهب ظهورها، قال الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم : "**أمتي أمة مرحومة، ليس عليها في الآخرة، عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل**"[2]، فالمحن والمصائب قد تكون سببا في الفتح المبين والنصر العظيم، فلا نيأس فالعدو مهما طغى وتجبر فنهايته تعيسة، وفي كتاب الله جل وعلا أمثلة كثيرة لأمم وأقوام كثيرة تجبرت وطغت فكانت نهايتها الدمار والخسف والعذاب في الدنيا والآخرة،فمنهم من أرسل عليه الريح ومنهم من أغرقه في اليم ومنهم من خسفت به الأرض ومنهم ومنهم.. فالخاتمة للمسلمين والنصر لعباد الله الصالحين، رغم اليأس الذي أصاب بعض ضعاف النفوس الذين يظنون أن لا طاقة لنا اليوم بأمريكا وحليفتها الصهيونية، فسلموا للأوضاع وانساقوا خلف التيار وأغرقوا أنفسهم في الأوهام والأحلام، وعلى مثل هؤلاء فلتبك النائحات لعلهم ينهضون من كبوتهم وسباتهم، فالقعود والانتظار لا يمنحان النصر، والأماني والأحلام لا يخرجان من الأزمة قال الباري سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ﴿**وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ**

(1) العنكبوت1-2

(2) رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم-رحمهم الله- عن سيدنا أبي موسى رضي الله عنه

وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[1].

ثم قال جلت قدرته بعد هذه الآيات: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلُۥونَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَابَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[2].

فهذه آيات أنزلها الله تعالى في غزوة أحد يضمد بها جراح المؤمنين،وينبههم إلى أسباب الهزيمة التي حلت بهم في هذه المعركة.

هكذا يخبرنا جل وعلا عن سنة الابتلاء، وعن تمحيصه واختباره لعباده، ليعلم الصادقين من الكاذبين، والمجاهدين من القاعدين، وقد ابتليت الأمة في مواطن كثيرة في عهد النبي ﷺ و الصحابة الكرام ﷺ، وغزوة أحد خير مثل التي ابتلي فيها المسلمون وزلزلوا وهذه الآيات التي ذكرتها نزلت يوم أحد تحكي

(1) سورة آل عمران: 139-142.

(2) سورة آل عمران الآيات 152-153.

لنا ما وقع في هذه الغزوة وما لقيه المؤمنون والنبي ﷺ من أنواع الابتلاء، قتل منهم سبعون من الصحابة وكسرت رباعية النبي ﷺ وشج وجهه الشريف، وخدشت ركبتاه، وجرحت شفته السفلى، وكسرت الخوذة على رأسه، ودخلت حلقات المغفر في وجنته... صلى الله على المبعوث رحمة للعالمين.

كذلك يوم حنين، قال تعالى محذرا عباده المؤمنون: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]. وغيرها من الأيام، وإذا بحثنا عن أسباب هذا الابتلاء نجد أن سبب الأولى -غزوة أحد- يرجع إلى مخالفة الصحابة لأمر سيدنا رسول الله ﷺ قال الباري جلت قدرته محذرا عباده المؤمنين من عواقب مخالفة أمر نبيه ﷺ: "**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**" والثانية -غزوة حنين- اغتر بعض الصحابة بكثرتهم وغفلوا عن الله تعالى، قال الله جل وعلا :﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2]، من هنا فسنن الله تعالى الكونية لا تتغير، إن اتبعنا شريعته وأخذنا بأسباب النصر فالنتيجة تكون كبدر واليرموك وحطين والقادسية والزلاقة ونهاوند وعين جالوت...، وإن خالفنا أوامر الله تعالى وتقاعسنا وأخلدنا إلى الأرض وغفلنا عن الله .. فالنتيجة تكون كأحد وحنين -في بداية المعركة- وبواتييه والجسر والعقاب[3]... وأسباب

(1) الأنفال.

(2) سورة التوبة الآية 25.

(3) - غزوة بدر الكبرى كانت في السنة الثانية للهجرة 17 رمضان.
- غزوة أحد كانت يوم السبت 15 شوال السنة الثالثة للهجرة.
- معركة حنين كانت 10 شوال السنة الثامنة للهجرة. =

الهزيمة التي حلت بالمسلمين في ذلك الوقت نجدها تتكرر في عصرنا هذا بل أكثر من ذلك، مخالفة أمر الله وأمر رسوله ﷺ في جميع أمور المسلمين "السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية،.."، تركوا شريعة الله ونبذوها وراء ظهورهم واتخذوا أعداء الله ملاذا وملجأ، وهذا هو سبب الشقاء الذي تعيشه أمتنا الإسلامية، كذلك اغتر المسلمون اليوم بكثرتهم ما يزيد عن1،3مليار مسلم فلم تغن عنهم شيئا، نزع الله من صدور عدوهم المهابة منهم وقذف في قلوبهم الوهن، فأصبحوا عبادا للهوى يلهثون وراء السراب ويستنجدون بالعدو الذي يتربص بهم الدوائر والذي ينهج سياسة " فرق تسد"..

هذا هو مكمن الداء والسبب المباشر لهذه الهزيمة التي حلت بالمسلمين اليوم، وإذا أراد المسلمون أن تعود لهم تلك العزة التي عاشوها في العهد

= – اليرموك بقيادة سيف الإسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه،ضد الروم.
– القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه،ضد الفرس.
– نهاوند،بقيادة النعمان بن مقرن المزني ضد الفرس.
– الزلاقة بقيادة الملك الصالح يوسف بن تاشفين،انتصر فيها على النصارى.
– الجسر كانت سنة 13 للهجرة،قائدها أبو عبيد بن مسعود الثقفي،في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
– العقاب كانت 15 صفر الخير 609 للهجرة/ 16 يوليه 1212 من تاريخ النصارى. تصدع الصف الداخلي للمسلمين كان السبب المباشر للهزيمة التي حلت بهم.
– بواتييه (أحد المدن الفرنسية وهي آخر مدينة وصلها الفتح الإسلامي)،وتسمى ببلاط الشهداء،وكانت في أواسط تشرين الأول سنة 732 من تاريخ النصارى.أواخر شعبان114 للهجرة.بقيادة عبد الرحمن الغافقي وهو من أفذاذ الرجال وقيل أنه روى عن عبد الله بن عمر.في هذه المعركة لم تكن الخبرة تعوز الجيش، ولم يكن الإيمان ينقصهم،لكن أسباب أخرى كانت تفل من عزيمة الجيش،فقد انتصروا في بداية المعركة لكن حرصهم الشديد على الغنائم التي جمعوها كان سببا من وراء هزيمتهم.

الأول عهد النبيﷺ والصحابة الكرام رضوان الله عليهم وعهود الازدهار "عهد صلاح الدين الأيوبي وغيره من المجاهدين والمصلحين" يجب أن يعود المسلمون إلى ما كان عليه هؤلاء حين رفعوا رؤوسهم وأرهبوا عدوهم، وفي هذا السياق أدرج هذا الكلام، عندما بعث المقوقس عظيم مصر رسلا إلى جيش عمرو بن العاص ﷺ، فأبقاهم عمرو عنده يومين وليلتين، اطلعوا خلالها على حياة جند رباهم الإسلام، وهيأهم لفتح أرض الكنانة، ولما عادت الرسل إلى المقوقس سألهم:كيف رأيتم؟قالوا:"رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب،وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، و لا العبد من السيد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد منهم، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم، فقال عند ذلك المقوقس : "والذي يحلف به،لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها،وما يقوى على قتال هؤلاء أحد"[1] . كان ولاؤهم لله جل وعلا ولرسوله ﷺ وكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم لا يخافون في الله لومة لائم، وكانوا لا يعرفون أن في القرآن سورة اسمها الهزيمة أو خسارة المسلمين، أو الخضوع والاستكانة للعدو الغادر، بل عرفوا حق المعرفة أن في كتاب الله سورا أسماؤها: الأنفال، والفتح، والنصر، فشمروا على ساعد الجد، شحذا للذمم ورفعا للهمم، فكانوا بذلك من الرجال الأفذاذ، لا يعرفون من المعارك والغزوات الانهزام وتولية الأدبار أو الفشل والاستسلام للعدو، لكنهم يعرفون النصر والتمكين والفتح المبين لعباد الله الصالحين، فأمدهم الله بجنود من السماء تقاتل معهم العدو، قال الخالق

(1) النجوم الزاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، طبعة دار الكتاب المصري، ج1 ص:10/ 11.

تقدست كلماته: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، وقال عز من قائل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

من هنا فسنن الله عز وجل الكونية جارية ولا تتخلف ولا تتغير، والأمور لا تذهب أدراج الرياح، إنما هي تتبع هذه السنن الكونية، فإذا درس المسلمون هذه السنن واعتبروا بمن سبقهم وبدءوا المسير من جديد وحولوا ولاءهم الكامل إلى الله جل وعلا ورسوله ﷺ، وأووا إلى ركنه الشديد، فلا شك أن الله ينصرهم ويمدهم بجنده كيوم بدر. وإن تقاعسوا وسلكوا طريقا غير طريق الحق فيوشك الله أن يعمهم بعقابه، كما في أحد خالف الرماة أمر سيدنا رسول الله ﷺ، وفي حنين أعجبوا بعددهم، وفي الجسر استقل قائد الجيش أبو عبيد بن مسعود الثقفي برأيه ولم يسمع لنصائح أصحابه فغابت المشورة وتسارع في تطبيق آرائه فكانت الهزيمة، وفي وبواتييه حرص المسلمين على الغنائم التي جمعوها في بداية المعركة كان السبب المباشر للهزيمة، إضافة إلى أسباب غير مباشرة كالصراع بين العرب والبربر، وفي العقاب أسباب كثيرة كضعف شخصية أمير الموحدين "محمد الناصر" أمام وزيره ابن جامع الذي كان سبب الخلاف بين الأمير والأندلسيين وكانوا في قوة لا يستهان بها، وانسحاب الجيش الأندلسي في بداية المعركة فجروا معهم باقي الجيش مما يدل على ضعف القيادة وعدم ثباتهم، وتماسك النصارى بوحدتهم رغم الخلافات العميقة التي دارت بينهم،...

(1) سورة التوبة الآية 26.

(2) سورة الأنفال 9-10.

فكل هذه الأمور كانت السبب المباشر للهزيمة التي حلت بصفوف الجيش الإسلامي في جميع المعارك التي ذكرتها، من: مخالفة شريعة الله جل وعلا، الغرور والإعجاب بالكثرة، والغفلة عن الله، الاستقلال بالرأي والتسرع والتهور، والخلافات والعصبيات، وتمزق الشمل وتفرق الكلمة، والحرص على الدنيا...

وكل ما ذكرته من المخالفات نجدها في وقتنا الحاضر مجتمعة وأكثر مما ذكرته، فهذا هو حال العالم المسلم الذي غرته الأماني، وناموس الله في الكون لا يتغير، فإذا كان هذا حال المسلمين، فكيف ننتظر نزول الملائكة؟! وكيف ننتظر نصر الله تعالى؟! والله تقدست كلماته يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ... ﴿٣٠﴾﴾[1].

فأين الاستقامة لتتنزل علينا الملائكة ؟.

إذاً، فلابد من الرجوع إلى الله أولا ولابد من الرجوع إلى الله ثانيا ولابد من الرجوع إلى الله ثالثا وأخيرا وليس آخرا. فالله جلت قدرته ووسعت رحمته ربى الأمة في هذه المعارك لتعرف أسباب النصر لتزيد في طاعة الله وتتوكل على الله في كل صغيرة وكبيرة وتأوي إلى ركنه الشديد، ورباها بالابتلاء وسيدنا رسول الله ﷺ بين المسلمين لتعرف أسباب الهزيمة لتغير مسارها وتحدد وجهتها، ولتعلم أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وتعلم أن الله ينصر من ينصر دينه، وتعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. هذه هي سنة الله عز وجل في الكون، وسنة الله لا تحابي أحدا. من يعمل صالحا فله جزاء الحسنى، ومن يعصي فلا يلمن إلا نفسه .

(1) سورة فصلت الآية 30.

أليس الصبح بقريب

ونستبشر خيرا بغد العزة وفجر الكرامة، بعد التوكل على الله جل وعلا في الأمر كله، والأخذ بأسباب النصر، واستنهاض الهمم، وتوعية الأمة بذاتيتها الضائعة وبوحدتها المتلاشية، والرجوع إلى ذلك النبع الصافي الذي استقى منه ذلك"الجيل القرآني الفريد" النموذج الخالد، جيل الصحابة رضوان الله عليهم جميعا، وما النصر إلا من عند الله، قال الباري سبحانه: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾[1] فهذا كلام الله الحي الذي يصلح للقرن الأول والقرن الثاني والثالث ويصلح لسائر القرون إلى آخر الزمان، يعد المؤمنين بالعلو والرفعة بعد الهزيمة وبالعز والتمكين والاستخلاف في الأرض بعد الذل ﴿ ...لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾"[2].

لا تنكسر فالحرب قائمة بين الهدى وشراذم الكفر
واليأس يهزم نفس صاحبه قبل اللقاء ويعود بالخسر

هكذا ستعود لنا تلك المكانة الرفيعة بعدما مرت على الأمة سنين عجاف وأصبحت بضاعة مزجاة، نشم نسائم الصباح ونستبشر ببشارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام أن بعد العض والجبر خلافة ثانية يعيش الناس في ظلها إخوانا.

(1) سورة القصص 5.
(2) سورة الروم الآية 4 – 6.

إن ربنا تبارك وتعالى أكرم الأمة المحمدية، وبشرها بخلافة ثانية بعد عض وجبر جثما على صدر الأمة قرونا طويلة، روى الإمام أحمد -رحمه الله- بسند صحيح عن حبيب بن سالم رحمه الله عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : "كنا قعودا في المسجد مع رسول الله ﷺ، وكان بشير رجلا يكف حديثه. فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال : يا بشير بن سعد ! أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء ؟ فقال حذيفة: أنا أحفظُ خطبته. فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة : قال رسول الله ﷺ : تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا[1] فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية[2] فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت. قال حبيب : فلما قال عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته، فكتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه. فقلت له إني أرجو أن يكون أمير المومنين،

(1) الملك العاض أو العضوض: هو الذي يصيب الرعية فيه عسف وطيش وتهور وتجاوز، كأنما له أسنان تعضهم عضًا، فمن خصائصه: تفرق الأمة إلى سنة وشيعة وانتشار الفرقة والتشتت الداخلي، رغم ما كان يمثله هذا الملك من حماية لشوكة الإسلام من العدوان الخارجي، كما سد باب الاجتهاد وساد دين التقليد"دين الانقياد"، والتعصب للمذاهب الفقهية، وإكراه الناس على بيعة الإكراه، وبيع الذمم، واهتمام العلماء بالقضايا الخلافية والجزئية، وتناسيهم المشاكل الكبرى التي يتخبط فيها المجتمع، ومن خصائصه أيضا استباحة الحلي والحرير والمجون والرقص والخمور، وتحول الخلافة من شورى الأمة إلى ملك وراثي تتوارثه الأسر الحاكمة أبا عن جد...

(2) الجبري:الديكتاتوري بلسان العصر، وهو أفظع من العاض ؛ لأن الجبر إن كان يلوح بشعارات الدين فقد أفرغ أجهزة الحكم والإعلام والتعليم وأفرغ قوانين الحكم من كل معاني الإسلام.

يعني عمر، بعد الملك العاض والجبرية. فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز، فسُرَّ به وأعجبه".

إنها "بشارة عظمى تنير لحاضر الأمة ومستقبلها طريق الظهور والنصر، وتسدد خطانا على المحجة البيضاء نعود إليها إن شاء الله بعدما عَمَّاهَا عنا دخن الفتن. بشرى نضعها نُصب أعيننا برنامجا لإعداد القوة وأملا مشرقا، بل يقينا ثابتا بأن مواطئ أقدامنا على رُقعة الواقع تطابق قدر الله، وتستجيب لنداء الله، وتقتفي أثر رسول الله ﷺ، وتماثل مسيرة الخلفاء الراشدين بهداية الله. لا إله إلا الله والحمد لله"[1].

وروى الحافظ البزار -رحمه الله- عن سيدنا رسول الله ﷺ قال : "إن أول دينكم نبوة ورحمة. وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم يكون ملكا عاضا فيكون فيكم ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله جل جلاله، ثم يكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي، ويُلْقِي الإسلام بِجِرَانِهِ في الأرض، يَرْضَى عنها ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطر إلا صبته مِدْراراً، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئا إلا أخرجته".

ماذا نفهم من هذا الحديث؟ إنها بشارة عظيمة جاءت على لسان الوحي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﷺ. نفهم أن ما كان عليه الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم سيكون في زمن آخر، وفي هذا السياق

(1) سنة الله، عبد السلام ياسين، ص13-14.

نفهم حديث النبي ﷺ:"خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..."[1] وعلاقته بالأحاديث الأخرى:"مثل أمتي كالمطر لا يعرف أوله خير أم آخره"[2]، من هنا وجب علينا أن لا ندخل الأمة في اليأس كما يفعل بعض أئمة المساجد وخطباء المنابر أو ما نسمعه في بعض الأشرطة الوعظية، للذين يكثرون من الاستشهاد بأحاديث فساد آخر الزمان، وهذا ينقص من فاعلية الأمة ولا يدفع بها قدما، ونحن علينا أن نشجعها أن نبعث فيها الأمل ببشارة خير الأنام عليه أزكى الصلاة والسلام بانتشار نور الإسلام وظهوره على كل الأديان، بل علينا أن نفتح باب التبشير ونغلق باب التيئيس الذي يشل حركة الإنسان والمجتمع "بشروا ولا تنفروا"[3]، فهذا الإمام الشهيد سيد قطب -رحمه الله- من وراء القضبان يكتب "المستقبل لهذا الدين"، والعلامة القرضاوي يكتب "المبشرات لانتصار الإسلام"، والشيخ ياسين يكتب "الإسلام غدا"، و"مقدمات لمستقبل الإسلام"، وهذا يقين في وعد الله جلت قدرته إذا صدقت به وأخذت بالأسباب فالله يحققه في الواقع. حتى بعض النخب الغربية تقول بأن قرن 21 قرن الإسلام.

يجب أن يكون عندنا يقين في وعد الله ورسوله "**إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا**"، فهذا سيدنا رسول ﷺ أراد أن تتغير القبلة على المستوى القلبي فتغيرت على مستوى الواقع: "**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك**

(1) رواه الإمام البخاري-رحمه الله- عن سيدنا عمران بن حصين-رضي الله عنه-، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب : لا يشهد على شهادة زور إذا أشهد.

(2) صحيح الحافظ ابن حبان-رحمه الله-، ج16/ 210، حديث رقم 7226.

(3) رواه الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه.كتاب العلم.

قبلة ترضاها"، والصحابة رضوان الله عليهم بايعوا سيدنا رسول الله ﷺ في صلح الحديبية بيعة الموت فقال الله جل وعلا لهم هذا ما أريد منكم: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[1].

فما أحوج الأمة بل ما أشد حاجتها إلى أمثال هؤلاء الرجال النموذج الخالد، والأمة التي تريد أن تصنع نهضة وتبني مجدا وتشيد حضارة وتعيد دولة الإسلام من جديد، في حاجة إلى جهود مضاعفة للبناء والرقي والنهوض. وفي حاجة إلى رجال صادقين بموعود الله، وموعود سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

أرجع إلى الحديثين السابقين لنستضيء بنورهما الشريف.

لقد حدّد سيدنا رسول الله ﷺ مدة الخلافة الأولى على منهاج النبوة بثلاثين عاماً، فكانت كما أخبر ﷺ.

عن سيدنا سفينة رضي الله عنه مولى سيدنا رسول الله ﷺ قال: قال سيدنا رسول ﷺ: "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك ". وفي رواية " خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يُؤتي الله تعالى الملك من يشاء ".

قال سفينة: امسك، خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين، وعمر رضي الله عنه عشراً، وعثمان رضي الله عنه اثنتي عشر، وعلي رضي الله عنه ستّاً"[2].

---

(1) سورة الفتح 18.

(2) رواه الإمام أحمد والطيالسي وأبو داود والترمذي والنسائي والطحاوي وغيرهم رحمهم الله، وصححه الإمام أحمد بن حنبل وابن حبان والحاكم وابن كثير رحمهم الله.

وعن سيدنا أبي بكرة ﷺ قال: سمعت سيدنا رسول الله ﷺ في قصة الرؤيا والميزان قال: "خلافة نبوة ثلاثون عاماً، ثم يؤتي الله تبارك وتعالى الملك من يشاء"[1].

فالحديثان اللذان ذكرتهما في مستهل هذا الكتاب يبينان المراحل التاريخية التي تمر بها الأمة الإسلامية، بدءا من رحلة النبوة التي انتهت بوفاة سيدنا رسول الله ﷺ، مرورا بمرحلة الخلافة الراشدة التي انتهت باستشهاد الإمام علي ﷺ، ثم مرحلة الملك العاض التي بدأت مع معاوية بن أبي سفيان ﷺ وانتهت بانهيار الدولة العثمانية على يد "الرجل الأبيض" عام 1924 - بتاريخ النصارى - . وبدأ الملك الجبري مع عدو الله الذئب الأغبر الطاغية الفتاك مصطفى كمال أتاتورك، الذي بلغ الأوج في علوه وفساده وطغيانه، اتبع الغرب الصليبي الحاقد في كل صغيرة وكبيرة، حتى دخل معهم جحر الضب.

وحول الآذان من العربية إلى التركية، وغيَّر الزي الإسلامي بالزي الأوروبي، وحلق الرءوس ومعها اللحى، بل اقترح عليه أحد شياطينه الذين يعيثون في الأرض الفساد أن يدخل على الصلاة الموسيقى، ويحذف منها الركوع والسجود، محاولة منه مسخ فطرة الأمة المسلمة لتنسلخ من دينها وتقطع صلتها بربها -تبارك وتعالى-... هكذا يلعبون بالمقدسات ويتجرؤون على الحرمات فتبا لهم وسحقا لهم[2].

(1) رواه الإمام أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والطحاوي وابن أبي عاصم رحمهم الله. وذكر الإمام الترمذي والحاكم رحمهما الله الرؤيا، وصححاه. وشاهده حديث سفينة وغيره.
(2) انظر كتابنا: "تأملات سريعة في واقع الأمة الإسلامية" فقد فصلنا فيه كثيرا.

هذه هي المرحلة ما قبل الأخيرة، ثم بعد هذا الملك الجبري خلافة ثانية على منهاج النبوة، وهذه بشارة للأمة المحمدية، فالله جل وعلا ينقذها مرة ثانية بمنهاج النبوة، ويستخلفها بإذنه بعد عض وجبر تسلطا على الأمة منذ انتهاء الخلافة الراشدة، كما استخلف الذين من قبلها من الجاهلية والتمزق بنبوة وخلافة أولى راشدة.

أخرج الإمام أحمد -رحمه الله- عن سيدنا المقداد بن الأسود ﷺ أنه سمع سيدنا رسول الله ﷺ يقول: "لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَرٍ ولا وَبَر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعِزٍّ عزيزٍ أو ذُلٍّ ذليلٍ. إما يعزهم عز وجل فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها"[1].

يقول العلامة فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي-حفظه الله ورعاه-: "إن فتح رومية وانتشار الإسلام حتى يبلغ ما بلغ الليل والنهار، واتساع دولة الإسلام حتى تشمل المشرق والمغرب إنما هو ثمرة لغرس، ونتيجة لمقدمة، هي عودة الخلافة الراشدة، أو الخلافة المؤسسة على منهاج النبوة بعد بقاء الملك الجبري، والملك العاض، أو العضوض ما شاء الله أن يبقيا من القرون. إن بعد الليل فجرًا، وإن مع العسر يسرًا، وإن المستقبل للإسلام، وقد بدت بشائر الفجر، والحمد لله. ومن هذه البشائر:

1ـ ظهور الصحوة الإسلامية، التي أعادت للأمة الثقة بالإسلام، والرجاء في غده، وقد أقلقت أعداء الإسلام في الداخل والخارج. وهي جديرة أن تقود الأمة إلى مواطن النصر، إذا قدر الله لها أن يتولى زمامها المرشدون الراشدون من

(1) ويروي الإمام أحمد رحمه الله الحديث من طريق آخر عن تميم الداري رضي الله عنه.

أولي الأيدي والأبصار، الذين آتاهم الله الفقه في سنن الله، والفقه في دين الله، والحكمة في النظر، والحكمة في العمل ﴿ ...وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ... ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة].

2ـ انهيار الأنظمة الشمولية، وخصوصًا الشيوعية التي زعمت يومًا أنها ستغزو العالم، وتَرِثُ الأديان، وتهزم الفلسفات، والتي لقيت أولى هزائمها على أيدي إخواننا المجاهدين في أفغانستان، والذين انتصروا بأسلحتهم العتيقة على أعتى دولة ملحدة في التاريخ. لقد سقطت قلاع الشيوعية واحدة بعد الأخرى، بدءًا بالاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية، وانتهاء بألبانيا، والبقية تأتي، سيمحق الباطل، وينتصر الحق ﴿ ...وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ... ﴿٥﴾ ﴾ [الروم]. والله أعلم"[1].

إن كل هذه البشائر وغيرها تشيع الأمل في النفوس، وتزرع بذور التفاؤل في الأرواح التي يؤلمها ما حل بالمسلمين من المصائب والنكبات، وهي بشائر أيضا تثبت اليقين في القلوب وتستحث الهمم من أجل مزيد من العمل للدين.

ولقد تنامت الصحوة الإسلامية اليوم واستجابت لربها واستبشرت ببشائر نبيها ﷺ، وتنامى معها شدة خوف أعداء الإسلام منها، ويظهر هذا جليا في صرخاتهم وأناتهم وصيحاتهم وهلعهم مما يؤكد اقتراب نهايتهم وأفول نجمهم.

(1) انظر موقع الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي على شبكة الإنترنت:
www.qaradawi.net.

وتجد في جانب آخر فريقا منهم يتحدث بلسان المنصف بعد دراسة متعمقة ومعرفة عن قرب لحقيقة الإسلام، وطبائع المسلمين وعقيدتهم وشريعتهم، فمن أقوال أولاء وأولئك نذكر بعضها -إضافة إلى ما سبق ذكره من بشائر قرآنية ونبوية- مما يفهم منها لا محالة أن المستقبل للإسلام.

يقول "بن جوريون": "نحن لا نخشى الاشتراكيات، ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً، وبدأ يتململ من جديد"[1].

ويقول المستشرق "شاتلي": "إذا أردتم أن تغزو الإسلام، وتخضعوا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها، والتي كانت السبب الأول والرئيس لاعتزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم، عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم، وكتابهم القرآن، وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم، ونشر روح الإباحية، وتوفير عوامل الهدم المعنوي، وحتى لو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج البسطاء لكفانا ذلك، لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها في القطع أحد أغصانها"[2].

ويقول "غوستاف لوبون Dr. G. Lebon"[3]: ".. مع ما أصاب حضارة العرب من الدثور، كالحضارات التي ظهرت قبلها: لم يمس الزمن دين النبي[4]

(1) أجنحة المكر الثلاث، عبد الرحمن حبنكة، ص131.
(2) غزو العالم الإسلامي للمستشرق، شاتلي، ص264.
(3) ولد عام 1841م، وهو طبيب، ومؤرخ فرنسي، عني بالحضارات الشرقية. من آثاره: (حضارة العرب) (باريس 1884)، (الحضارة المصرية)، و(حضارة العرب في الأندلس).
(4) قلت: ﷺ.

الذي له من النفوذ ما له في الماضي، والذي لا يزال ذا سلطان كبير على النفوس، مع أن الأديان الأخرى التي هي أقدم منه تخسر كل يوم شيئًا من قوتها.. وتجمع بين مختلف الشعوب التي اتخذت القرآن دستورًا لها وحدة اللغة والصلات التي يسفر عنها مجيء الحجيج إلى مكة من جميع بلاد العالم الإسلامي. وتجب على جميع أتباع محمد((1)) تلاوة القرآن باللغة العربية بقدر الإمكان، واللغة العربية هي لذلك أكثر لغات العالم انتشارًا على ما يحتمل، وعلى ما بين الشعوب الإسلامية من الفروق العنصرية ترى بينها من التضامن الكبير ما يمكن جمعها به تحت علم واحد في أحد الأيام"[2].

ويقول المؤرخ البريطاني المعاصر "آرنولد توينبي Arnold Toynbee"[3]: صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة، ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ إذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرّب ضد السيطرة الغربية، ونادت بزعامة معادية للغرب، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح النضالية للإسلام، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام. وهناك مناسبتان

(1) ﷺ.

(2) حضارة العرب، ص 126.

(3) انصبت معظم دراسات "آرنولد توينبي" على تاريخ الحضارات، وكان أبرزها – ولا ريب – مؤلفه الشهير (دراسة للتاريخ) الذي شرع يعمل فيه منذ عام 1921 وانتهى منه عام 1961، وهو يتكون من اثني عشر جزءًا عرض فيها لرؤيته الحضارية للتاريخ. ولقد وضع المستر سومر فيل – تحت إشراف توينبي نفسه – مختصرًا في جزأين لهذا العمل الواسع بسط فيه جميع آراء المؤلف مستخدمًا عباراته الأصلية في معظم الأحيان، وحذف الكثير من الأمثلة والآراء دون إخلال بالسياق العام للكتاب، وهذا المختصر هو الذي ترجم إلى العربية في أربعة أجزاء.

تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سموّ المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي: ففي عهد الخلفاء الراشدين[1]، بعد الرسول[2] حرّر الإسلام سوريا ومصر من السيطرة اليونانية التي أثقلت كاهلهما مدة ألف عام تقريبًا. وفي عهد (نور الدين) و(صلاح الدين) و(المماليك) احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول. فإذا سبّبه الوضع الدولي الآن حربًا عنصرية، يمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى"[3].

ويقول "جورج سارتون G. Sarton"[4] (1884-1956): "إن شعوب الشرق الأوسط قد سبق لها أن قادت العالم في حقبتين طويلتين، طوال ألفي سنة على الأقل قبل اليونان، ثم في العصور الوسطى مدى أربعة قرون على الأقل. من أجل ذلك ليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب من أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد"[5].

---

(1) رضي الله عنهم.

(2) ﷺ.

(3) الإسلام والغرب والمستقبل، ص 739.

(4) ولد في بلجيكا، وحصل على الدكتوراه في العلوم الطبيعية والرياضية (1911)، فلما نشبت الحرب رحل إلى إنكلترا، ثم تحول عنها إلى الولايات المتحدة، وتجنّس بجنسيتها فعين محاضرًا في تاريخ العلم بجامعة واشنطن (1916)، ثم في جامعة هارفارد (1917-1949). وقد انكب على دراسة اللغة العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت (1931-1932) وألقى فيها وفي كلية المقاصد الإسلامية محاضرات ممتعة لتبيان فضل العرب على التفكير الإنساني، زار عددًا من البلدان العربية، وتمرس بالعديد من اللغات، ومنح عدة شهادات دكتوراه كما انتخب عضوًا في عشرة مجامع علمية وفي عديد من الجمعيات العالمية، وأشرف على عدد من المجلات العلمية.من آثاره: خلف أكثر من خمسمائة بحث، وخير تصانيفه وأجمعها: (المدخل إلى تاريخ العلم) في خمسة مجلدات.

(5) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ص 69.

وغير ذلك من الأقوال والصيحات التي تستشعر قرب الانهزام أمام الإسلام، والتي لا تجد لها تفسيرًا إلا أن المستقبل للإسلام.

وفي المقابل تجد إقبالا ممن وفقوا لمعرفة حقيقة هذا الدين الخالد والشرع المنزل من لدن حكيم خبير، فتجد الآف العطشى ينسابون من كل حدبٍ وصوب يهرولون إلى رحاب الإسلام وينضمون إلى ركب الإيمان، ويدخلون في دين الله أفواجا بعد أن عرفوا وتيقنوا أنه الدين الحق الذي ارتضاه الله عز وجل للعالمين، وأن المستقبل للإسلام.

وهكذا فإن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والدلالات الكونية، وشهادات المنصفين، وصرخات الحاقدين الخائفين، وأقوال المهتدين، كلها تصرح بحقيقة واحدة وتقودنا إلى نتيجة حتمية وهي أن المستقبل للإسلام لا محالة، وفق سنة الله الأزلية: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لكن هذا المستقبل لا يأتي بالخمول والعجز والكسل والأماني المعسولة، بل لابد من بذل النفس والنفيس لتحقيقه، ورفض الظلم والبغي والفساد، والاستيقاظ من السبات العميق، لتعود للأمة عزتها ومكانتها.

ولابد من تربية لهذا الإنسان الذي يحمل مشروع الأمة في التغيير.

يقول الإمام المجدد حسن البنا -رحمه الله-:"يجب أن تكون دعامة النهضة "التربية" فتربى الأمة أولا، وتفهم حقوقها تماما وتتعلم الوسائل التي تنال بها الحقوق، وتربى على الإيمان بها، ويبث في نفسها هذا الإيمان بقوة، أو بعبارة أخرى تدرس منهاج نهضتها درسا نظريا وعمليا وروحيا؛ وذلك يستدعي وقتا

طويلا، لأنه منهج دراسة يدرس الأمة، فلابد أن تتذرع الأمة بالصبر والأناة والكفاح الطويل.

(...) لا نهوض لأمة بغير خلق - فإذا استطاعت الأمة أن تتشبع بروح الجهاد و{البذل} وكبح جماح النفوس والشهوات أمكنها، بمعنى أن الأمة إذا استطاعت أن تتحرر من قيود المطالب النفسية والكمالات الحيوية أمكنها أن تتحرر من كل شيء فليكن حجر الزاوية إصلاح خلق الأمة"[1].

فالصبح آت، ووعد الله يتحقق، رُغم أنف المعتدين.

يقول الباري جلت عظمته: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال].

ويقول ربنا الكريم: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف].

ويقول عز من قائل: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة]. والآيات الكريمة تسخر من أولئك الطغاة الجبابرة الذين يفسدون ولا يصلحون، حين تشبه محاولاتهم في إطفاء نور الإسلام والمحبة والوئام كالذي يحاول أن يطفئ نور الشمس بنفخة من فيه، كأنما يحسبها شمعة ضئيلة من شموع البشر.

---

(1) انظر مذكرات الدعوة والداعية للإمام، ص181-183.

ولعل الله تعالى يمن على هذه الأمة المسلمة في يوم من الأيام، فتستيقظ من نومها لتنفض عن رأسها ركام الظلم والفساد، والبغي والطغيان، والقمع والاستبداد، فإذا أراد الله أمرا هيأ له الأسباب.

خاتمة

إن وعد الله لا ريب فيه، ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس]؛ فلينظر كل واحد ماذا قدم لمستقبل أمته المسلمة، هل أسهم في البناء، وأول البناء بناء النفس وتغييرها من العادات إلى العبادات، ومن الشهوات إلى الطاعات، ومن الحقد إلى المحبة والأخوة...

وسنن الله جلا وعلا في الكون ماضية، وعهوده ثابتة، والتاريخ لا ينتظر أحدا، "**وما كان الله ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**"، "**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**"، وقال سبحانه وتعالى: "**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى**"، وقد جربت الأمة الدواء الناجع، والعتاد القوي، الذي حققت به انتصارات باهرة، لكن سرعان ما تخلت عنه ومضت في طريق الفشل والهزيمة والانحطاط.

وفي الأخير كيف نغير ما بالأمة إذا لم نستطيع أن نغير أنفسنا بناء على القاعدة القرآنية: ﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ... ﴿١١﴾ ﴾[1]؟.

(1) سورة الرعد الآية 11.

اللهم إنا نشكو إليك ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلنا، إلى بعيد يتجهمنا ؟ أو إلى عدو ملكته أمرنا، إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي، غير أن عافيتك أوسع لنا، نعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل علينا غضبك، أو ينزل بنا سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللهم صل على سيدنا محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المحتويات

الموضوع	الصفحة
إهداء	٧
تقديم: الدكتور محمد رفيع	٩
المقدمة	١١
أصل البلاء	٥١
آلام وجراح	٨١
سنة التمحيص والاختبار	٢١
أليس الصبح بقريب	٨٢
خاتمة	٣٤